

الشعراء والحمير في القرآن صلاح شوان

كوردتايمس - 2006/6/18

تنص الآية القرآنية على: ((وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ {224} أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ {225} وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ {226})) إلى آخر الآية التي تسبقها 225 آية أخرى في سورة (الشعراء) كلها تتوعد بالويل والثبور وعظائم الأمور التي ستتخذ بحق الشعراء عقابا على قرضهم الشعر.

وسنستيق تحليلتنا بالقول: ان من يؤمن من الشعراء بالقرآن والاسلام، ويعتبر نفسه شاعرا في نفس الوقت، انما هو يثبت على نفسه النعوت التي نعته الله بها، وهو ما يحتم ان لا يكن احد اي احترام او اعتبار للشاعر المسلم، ان لم نقل عليه ان يحتقره، لان من يقبل بالاحتقار ويصر عليه، لا يمكن الا وصفه بالشاعر المسلم، فما من صفة اكثر احتقارا من ذلك، وان المسلم الذي يعترف بالشعر والشعراء بصفته مبدعون وكتاب محترمون، انما هو الآخر لا يمكن الا اعتباره سفيها لا يستحق اي اعتبار لانه يجمع نقيضين لم يجمع حتى الله - ان كان حقا هو صاحب الآية المذكورة - بينهما بل فرقهما على خير وشرير.

وبما انني اعتبر نفسي شاعرا، وبدأت بقرض الشعر قبل التعرف على الآية غير الكريمة المذكورة، وانني مصر على اعتبار نفسي شاعرا، لذا سأحاول ان ادافع عن نفسي وصفتي الابداعية بشرف وكرامة، على عكس الشعراء المسلمين، ابتداءً بحسان بن ثابت صاحب القصيدة البردية النبوية وابي تمام وانتهاءً بالاصدقاء والزملاء الاعزاء من الشعراء المسلمين المعاصرين، فان نجحت في دفاعي، فاثبت بذلك بطلان القول المذكور، وان فشلت فسيبقى لي شرف انني حاولت الا اكون كالنموذجين الساقطين الذين ذكرتهما.

بادئ ذي بدء اني لا اعتقد ان الله صغير وضيق الافق وحاسد ومريض بالغيرة العمياء الى حد ان يهجو الشعراء كلهم دون استثناء، ليس لسبب الا لانهم شعراء، الشعراء - كما هو معروف حتى لاغبي الاغبياء - مختلفون ولا يجمعهم الا فن من فنون الكلام، وهو ليس بجريمة، ولا يمكن ادانة من يمتنه او يهوه مسبقا دون التدقيق في مضامين نتاجاتهم، وهم كالقصاصين والروائيين وغيرهم من الكتاب الادباء، فلماذا لم يشمل كاتب الآية الأنفة الذكر الا الشعراء بالغواية والنتيه والكذب؟ هل لانه لم يعرف من الصنوف والاجناس الادبية غير الشعر؟ ولم يخطر بباله وافقه الضيق ومخيلته المحدودة ان الشعر والشعراء جزء من فنون كتابية تسمى بالادب؟ وهل صاحب مثل هذا الافق والمخيلة الضيقة يمكن ان يكون الها او الله يستحق التجليل والعبادة، وحتى الاحترام؟ ام ان كاتب الآية المذكورة مجرد انسان مريض بالغيرة العمياء ومحدود العقل والادراك واحكامه مجانية سخيفة لاستحقق الاهتمام؟! ... ساترك الاجابة على هذه التساؤلات والحكم على ماسبق لكم انتم القراء لتكتشفوا بانفسكم حقية الآية من بطلانها، لكن بعد التمعن والتأمل، وليس بالخضوع الغبي لما هو سائد ومسلم بها كحقائق مطلقة لان كتابا قديما مشكوكا في مصداقيته قد اتى بها.

فمن يؤمن بالآية المذكورة، ويصدق ان ربه ونبيه قد اتيا بها، فعليه ان يؤمن ان الشعر منكر وغواية وتيه وكذب، ويجب ان يحاربه بيده، فإن لم يستطع فيلساته، وان لم يستطع فيقلبه، والشعراء غاؤون ويجب معاقبتهم بحسب الشريعة الاسلامية بقطع ألسنتهم التي يقولون الشعر بها، وقطع اصابعهم التي يكتبون الشعر بها، والشعراء يجب ان يتوبوا لمن هم احياء، ورجم قبور من مات منهم شاعرا، وتدمير تماثيلهم وحرق كتبهم او رميها في المزابل لقطع دابرها... والخ... ومن يؤمن بان الشعر فن انساني برئ ورفيع وبديع، ومن يؤمن بأنه شاعر رغم انف كاتب القرآن الحاقد الغيار، فعليه ان يرمي الكتاب المذكور في المزبلة حيث اتى، كما افعل انا قولاً وفعلاً وكتابةً وفكراً.

كاتب القرآن لا يتصف باية حصافة او رفاة او عدل او حكمة او كرم او ديمقراطية، ولا يمكن ان يكون صاحب هذه الصفات الذميمة الله او الها او ربا، واذا كان كذلك فان الله او الاله او الرب لا يستحق اي احترام، ولا يمكن ان يكون صاحب تلك الكلمات متصفا بالعظمة والقدرة على كل شئ، ومنها قدرته على مسح الشعر من عقل وتكوين البشر بدل انتقاده وهجوه وادانته والتهجم عليه كأي عاجز مريض بالحقق والكراهية والغيرة والشعور بالنقص.

الشعور بالنقص والغيرة من الابداع الشعري واضح وضوح الشمس في الآية المذكورة، وبمقارنة بسيطة بين القرآن الذي كتب بسجع متخلف ادنى بدرجات من مرتبة الشعر ادبيا، ومقارنته بالمستوى الفني للشعر السائد في تلك الحقبة، يتبين حقيقة كراهية كاتب القرآن للشعر والشعراء، والقرآن كشكول يخلط اشبه الشعر باشبه القانون باشبه القصص وغيرها من المسوخات النصية القديمة العاجزة التي تخط الحابل بالنابل، والغث بالسمين، والجيد بالسئ، والجميل بالقبيح... فشرعية حمورابي تتميز بلغة قانونية اكثر رصانة ودقة وتحديدات من الاحكام التي حاول كاتب القرآن ان يضمه كتابه الكشكول، رغم ان كاتب القرآن قد سرق بعض الاحكام من حمورابي في شريعته، مثل العين بالعين والسن بالسن، ليصبح المجتمع مجتمع عميان، كما ان افلاطون الذي لم يدعي الالوهية او النبوة كان اكثر دقة وتحديدات من صاحب القرآن في الحكم على الشعراء، وذلك بطردهم

من جمهوريته الغيبية، لان الشعراء تنابلة كسالى لا فائدة منهم، بينما الرياضيون محترمون وكأنهم هم الذين اخترعوا الكهرباء واكتشفوا المضادات الجرثومية!

والقرآن ظاهرة صوتية فارغة من اي مضمون حقيقي، ويمكن استخراج ماتشاء منه من متناقضات مضمونية حسب الرغبة لهلاميتها وانتفاخها اللغوي الصوتي الهوائي، وهي صفة النصوص القديمة التي تنتمي الى عقول بدائية وتجارب فقيرة وخيالات صبيانية كانت سائدة حينذاك، ولاضير من الاشارة هنا الى ان النبي محمد قد كذب لاحقا ولي نعمته صاحب القرآن بقوله: (وان من الشعر لحكمة) وهذا يعني ان الشاعر ليس بغاو او ضال حقير، بل هو حكيم ومايقوله (حكمة)! ربما لانه شعر برضى من بعض من الشعراء الذين مدحوه تقربا وتملقا بعد اشتداد ساعده وتوسع سلطته، حيث كان الشعر العربي سلعة تباع وتشترى، وكان للشاعر فيه مآرب اخرى غير الحكمة والمعرفة وقول الحق والجمال ونشر المثل والفكر والفلسفة، لكن الثابت في الاسلام ان الآية تلغي ما قبلها من الآيات ان تناقضنا، وليس الحديث بقادر على نسخ الآية مهما كان مصداقيته ونسبه صحيحا، بل يعد مجرد تناقض غبي لم ينتبه اليه النبي الامي الجاهل المعتمد على جهل وغياة اتباعه البيغاويين..

واخيرا نود طرح سؤال برئ علي من يريد ان يستهلك عقله في الاجتهاد في النصوص القرآنية القديمة الجنلوتية: ما حكم شريعة الاسلام بحسب القرآن على الشعراء والحمير - الكائنات المسكينات الاقل ضررا بين اقرانهما - اللذان هجاهما الله؟! فلربما استطاع الشعراء التوقف عن الشعور الانساني النبيل والانخراط في الاعمال الجهادية الوحشية وقطع الاعناق وغيرها من الممارسات الهمجية التي يحبها الله ورسوله الكريه... لكن الحمار المسكين من يستطيع تعليمه نهيقا جميلا؟ او تأهيله ليكون مغنيا ناجحا فيتغني بجمال محمد في مناقب نبوية شريفة؟ وما ذنبه ان كان صوته قبيحا ولم يعطيه الله صوتا جميلا، فأعطه انكر الاصوات ليهجوه بعد ذلك بقبح صوته بقوله تعالى(!): (ان انكر الاصوات لصوت الحمير)، وهل يجوز لله ان يضع عقله في مستوى عقل الحمار ويعتبره ندا له؟ وهل يجوز لله مالا يجوز للحمير، فيعطي من يشاء صوتا كريها ثم يتهمه بقبح صوته؟ وهل هذه هي العدالة الاسلامية التي يجب ان نطبقها على انفسنا نحن البشر وعلى اصدقائنا الحمير؟ وما هو رأي منظمات حقوق الانسان وحقوق الحمار في كل ذلك؟!... أفئونا، جزاكم الله خيرا.